

سورة النحل

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهِينَ اثْنَيْنِ
إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾

النحل (51)

معاني الكلمات :

لا تتخذوا إلهين: أي تعبدوهم إذ ليس لكم إلا إله واحد.
ارهبون: خافون، والرهب هو: الخوف مع الاضطراب
والخذر.

المعنى الإجمالي

بعد إقامة الحجج على التوحيد وبطالان الشرك
أخبرهم أن الله بهم رب كل شيء قد قال لهم: أيها
الناس { لا تتخذوا إلهين اثنين } فلفظ اثنين تأكيد
للفظ إلهين أي لا تعبدوا إلهين بل اعبدوا إلهاً واحداً
وهو الله إذ ليس من إله إلا هو فكيف تتخذون إلهين
والحال انه { إله واحد } لا غير وهو الله الخالق الرازق
المالك، ومن عداه من مخلوقاته كيف تُسوّى به وتُعبَد
معه؟ وقوله تعالى: { فيأي فارهبون } أي ارهبوني
وحيدي ولا ترهبوا سواي إن بيدي كل شيء، وليس
لغيري شيء فأنا الحي المميت، الضار النافع، يوجههم
على رهبتهم غيره سبحانه وتعالى من لا يستحق أن
يُرهَب لعجزه وعدم قدرته على أن ينفذ أو يضر.

وجاء النص (وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين) ولم يأت النهي وحده "لا
تتخذوا إلهين اثنين" دون جملة (وقال الله)؛ لأن جملة (وقال الله)
تأكيد على عظيم خطر الشرك، وأن الله سبحانه وتعالى هو صاحب
الشأن، وصاحب الحق في التوحيد، فانظروا عظيم العقاب عند مخالفته
سبحانه وتعالى.

(إنما هو إله واحد) لا اثنين، وهذا الإله الواحد هو الله سبحانه وتعالى
لا شريك، وجاء الإخبار عن توحيد الله مؤكداً ب (إنما)؛ لأن المشركين
منكرين لتوحيد الله، فأكد لهم التوحيد ليقرع آذانهم، لعله يقرع
قلوبهم. وقد حصر الله سبحانه وتعالى الرهبة منه على نفسه بقوله:
(فيأي فارهبون)، أي: ارهبوني وحدي ولا ترهبوا معي أحداً، وفهم
هذا الحصر من تقديم المفعول به (إيأي).

إن الله جل وعلا أرسل رسلاً جميعاً لتقرير قاعدة مشتركة بينهم جميعاً
ألا وهي التعريف بالإله الحق وعبادته وحده وفي الوقت نفسه التعريف
بالآلهة الباطلة التي تُعبَد مع الله لكي يتجنبها الناس فلا تعبد مع الله أو
تعبد من دونه ودليل هذه القاعدة قوله تعالى: { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ
رَسُولاً أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } [النحل : 36] ومن
أجل ذلك كان أوجب الواجبات على الإنسان أن يتعرف على الإله
الحق فيعبده وحده ويجنب الآلهة الباطلة فلا يدعوها من دون الله .

فكلمة إله في اللغة : أله فلان إلهةً وألوهةً ، وألوهيةً : عبد ، وفلاناً
أهلاً : أجاره وأمنه ، وإليه : لجأ وعليه : اشتد جزعه ، وأله فلان أهلاً
تخبر وبالمكان : أقام أهله : اتخذ إلهاً ، تأله : تنسك وتعبد وادعي
الألوهية فالإله : كل ما اتخذ معبوداً .

فالإله الحق: هو الموصوف بكل صفات الكمال المطلق ، وأسمائه
كلها غاية في الحسن لا يشبه أحداً من خلقه في ذاته ولا في صفاته
قال تعالى { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } [الشورى : 11]
[هذا الإله الحق الذي تأله القلوب وتختار فيه العقول فتلجأ إليه
خوفاً ورجاءً ومحبة وتوكلاً وإنابة واستعانة واستغاثة وتلجأ إليه بكل
جوارحها عبادة له وحده ولا تشرك معه

غيره لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلأً ولا ولياً ولا شجراً ولا حجراً
ولا شمساً ولا قمراً ، إنما هو الله الواحد الأحد الفرد الصمد
الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

فمن عرف هذا الإله الحق بأسمائه وصفاته وعبده وحده مخلصاً له
الدين وكفر بما يُعبَد من دونه ، وشهد له سبحانه بالوحدانية
وبرسله بالرسالات من لدن آدم ونوح إلى إبراهيم وموسى
وعيسى ومحمد (عليه وعليهم أجمعين الصلاة والسلام) فهو
الموحد عند الله ومآله إلى الجنان وإن اقترب من الآثام مادون
الشرك بالله فإن شاء الله عذبه بآثامه والتي هي دون الشرك دون
خلود في العذاب وإن شاء غفر له قال تعالي { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ
يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ
افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا } [النساء: 48] أما من أشرك مع الله غيره
فدعاه أو استغاث به أو ذبح له أو نذر له أو توجه له بأي
عبادة قلبية أو غير قلبية معتقداً أن هذا الذي يدعو مع الله أو
دون الله يملك له نفعاً أو ضرراً فهذا هو الشرك الذي حكم الله
على صاحبه بالخلود في النار قال تعالي { إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ
حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ } [
المائدة : 72] .

والإله الباطل: أن الآلهة التي تعبد من دون الله آلهة باطلة لا

تستحق العبادة. والدليل على أنها لا تستحق العبادة :

1- قوله تعالى: { أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا } [الأعراف:191]
فهم لا يخلقون شيئاً.

2- { وَهُمْ يَخْلُقُونَ } [الأعراف:191] فكيف يُعبَد المخلوق
والمخلوق لا يُعبَد؟

3- { وَلَا يَسْتَضِيْعُونَ لَهَا نَصْرًا } [الأعراف:192] فهذه الآلهة لا
تستطيع أن تنصر من يعبدها إذا نزل به البلاد.

4- { وَلَا أَنفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ } [الأعراف:192]، فهذه الآلهة لا
تنصر نفسها، فهي لا تملك أسس استحقات العبادة .

وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ
إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِذَا فَرَغُوا فَارْجِعُوا

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (71)



قوانين من سورة النحل الآية 51

تهدى ولا تباع

ولا تنسوننا من صالح دعائكم

اعدتها عزيمي إبراهيم عزيز

9- التهي عن الشّرك، وأن كلّ ما سواه فهو ملكه، وأنه غني عن الكلّ، وأن الناس مذذبون، فإذا أصابهم الضّرّ تصرّعوا إلى الله تعالى، وإذا كشفه عنهم، عادوا إلى الكفر والشرك.

10- إذا كشف الله الضّر، وزال الخوف، وتحققت السلامة والنعمة، وانقسم الناس فريقين، فريق منهم بقي على الإيمان والشكر لله، وفريق نسي النعمة، فأشرك بالله غيره في العبادة. وهذا الفريق هم المشركون الذين يرون أن للأصنام والقبور أفعالا من شفاء المرضى وجلب الخير ودفن الضّر، فهم إذا شفاهم الله مثلا من أمراضهم، عظموا أصنامهم، وقبورهم وأضافوا ذلك الشفاء إليهما، وهذا مثار عجب واستغراب، فهم في الشدة يضرعون إلى الله، وفي الرخاء ينسون جانب الله سبحانه.

11- الالهة الباطلة لا تسمع الدعاء، ولهذا يحذر الله عز وجل عن إبراهيم في قوله لأبيه: {يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا} [مريم: 42] يعني: كيف تعبد ما لا يسمع؟! إله لا يسمع، وإله لا يبصر، وإله لا يغني عنك شيئا، كيف تعبدته؟! وهذا يدل على أن الإله إذا كان موصوفاً بالنقص فإنه لا يكون لها حقيقياً صحيحاً.

12- كل من يعبد غير الله عز وجل فهو في ضلال، فالذين يأتون إلى أصحاب القبور ويدعونه من دون الله تستطيع بكل سر بطريق عقلي صحيح أن تبطل عبادتهم، فتقول: يا فلان! هذا الإنسان لو كان ينفذ ويضر لأغنى عن نفسه شيئاً، ولم يموت، فكيف تعبدته وقد مات؟! ولهذا كان أغنى أنواع العبادات عبادة الموتى.

والله اعلم وصلي اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين.

الفوائد :

- 1- تقرير التوحيد بعبادة الله تعالى وحده.
- 2- وجوب الرهبة من الله دون سواه.
- 3- على المسلم أن لا يخشى إلا الله؛ لأن الضّر والنفع بيد الله وحده لا بيد أحد غيره.
- 4- أن كل ما سواه من جماد وحيوان وإنس وجن وملك - منقاد به وخاضع لسلطانه.
- 5- فريقا من البشر يشركون بالله بعد توحيدهم حالما ينجيهم من الضّر الحقيق! فإذا بعضهم في ساعة العسرة لا يلجأ إلى الله ولكن يلجأ إلى بعض مخاليفه يدعوها للنصرة والإنقاذ والنجاة، بحجة أنها ذات جاه أو منزلة عند الله، أو بغير هذه الحججة في بعض الأحيان، كالذين يدعون الأولياء لإنقاذهم من مرض أو شدة أو كرب.. فهؤلاء أشد الخرافا من مشركي الجاهلية فينتهوا إلى الكفر بنعمة الله عليهم، وبالهدى الذي آتاهم.
- 6- من المعلوم لكل ذي لب أن المخلوق سواء كان نبيا او وليا او ملائكة غير صالح للألوهية، فانحصر الأمر في الخالق،
- 7- إذا كان الحق تبارك وتعالى نفى إلهين اثنين، فنفي ما هو أكثر من ذلك أولى. . واثنا أقل صور التعدد.
- 8- ومعنى {إلهين} أي: معبودين، فيكون لهما أوامر ونواه، والأوامر والنواهي تحتاج إلى طاعة، والكون يحتاج إلى تدبير، فأئي الإلهين يقوم بتدبير أمور الكون؟ أم أنه يحتاج إلى مُساعد؟ إن كان يحتاج إلى مساعد فهذا نفص فيه، ولا يصلح أن يكون لها. قال: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} [الأنبياء: 22]. فكيف الحال إذا أراد الأول شيئاً، وأراد الآخر ألا يكون هذا الشيء؟ فإن كان الشيء كان عجزاً في الثاني، وإن لم يكن كان عجزاً في الأول. . إذن: فقوة أحدهما عجز في الآخر. ونلاحظ في قوله تعالى: {وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ} [النحل: 51]. عظة بليغة، كأنه سبحانه حينما دعانا إلى توحيدهِ يقول لنا: أرجعوا أنفسكم بالتوحيد.